محاضرات تحقيق المخطوطات السنة الأولى ماستر (مقد حديث ومعاصر)

عنوان المحاضرة: التصحيف والتحريف

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

طلبتي الأعزاء؛

تطرقنا في المحاضرة السابقة إلى أهم المصطلحات التي لا يمكن لدارس هذا العلم أن يستغني عنها ولم نحصها كلّها طبعا، وكنت قد أشرت في نهاية المحاضرة إلى أننا سنتناول في الموعد اللاحق موضوع "التصحيف والتحريف" باعتباره نال اهتمام العلماء قديما وحديثا ومنهم من أفردهما بالتأليف وجعلهما عنوانا لكتابه فعرفهما وبينّ مواضعهما ثم توسع فيهما واستقرأ التصحيفات الواردة في كتب العلماء ومن بين هذه الكتب: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف -للعسكري- تحقيق عبد العزيز أحمد، وكتاب: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ)، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب.

ولعل السؤال الذي يتبادر إلى أذهانكم هو : مامعنى التصحيف وما أصل هذه الكلمة ؟ وما معنى التحريف أيضا؟ وهل يتقطعان في المعنى الاصطلاحي أم يختلفان ؟ بالإضافة إلى أسئلة أخرى ستطرحونها لاحقا عند الغوص في هذا الموضوع الشيّق.

وسأجيبكم طبعا بالاستناد والاستئناس بالمعاجم اللغوية في توضيح المعنى اللغوي الذي غالبا ما يتقاطع مع المعنى الاصطلاحي، وأيضا بالعودة إلى الكتب المتخصصة ولنبدأ بالشق الأول من السؤال وهو التعريف اللغوي.

تعريف التّصحيف والتحريف

1.**التصحيف لغة**: جاء في كتاب التعريفات : "التصحيف: أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه، أو على ما اصطلحوا عليه".[1]

وفي دستور العلماء: "التَّصْحِيف: تَغْيِير اللَّفْظ وَالْمعْنَى".[2]

وفي جواهر البلاغة : "التصحيف: هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غيرت نقط كلمة، كانت عين الثانية، نحو التخلي، ثم التحلّي، ثم التَّجلّي"[3].

كما يدلّ الأصل (ص ح ف) على انبساط في شيء وسَعَةٍ، ومنه الصَّحِيفُ، وهو: وجه الأرض، والصّحيفة؛ وهي الّتي يكتب فيها.

2.**التحريف لغة**

ويدلّ الأصل (ح ر ف) على معانٍ؛ منها: الانحراف عن الشّيء، والعدول عنه .

وقال ابن منظور في لسان العرب مادة (حرف):"...وحَرَفَ عَنِ الشَّيْءِ يَحْرِفُ حَرْفاً وانْحَرَفَ وتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ: عَدَلَ. الأَزهري. وَإِذَا مالَ الإِنسانُ عَنْ شَيْءٍ يُقَالُ تَحَرَّف وَانْحَرَفَ واحْرَورَفَ...

وقَلَمٌ مُحَرَّفٌ: عُدِلَ بأَحد حَرفَيْه عَنِ الْآخَرِ...

---

[1]- كتاب التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، ص 59

[2]- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م،1/ 204

[3]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلين المكتبة العصرية، بيروت، ص 330

وتَحْرِيفُ الكَلِمِ عَنْ مواضِعِه: تَغْيِيرُهُ. وَالتَّحْرِيفُ فِي الْقُرْآنِ وَالْكَلِمَةِ: تَغْيِيرُ الحرفِ عَنْ مَعْنَاهُ وَالْكَلِمَةُ عَنْ مَعْنَاهَا وَهِيَ قَرِيبَةُ الشَّبَهِ كَمَا كَانَتِ الْيَهُودُ تُغَيِّرُ مَعانيَ التَّوْرَاةِ بالأَشباه، فوصَفَهم اللَّهُ بِفِعْلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾

وأما جواب الشق الثاني من السؤال والذي يتعلق بتقاطعهما في المعنى الاصطلاحي ام لا هو:

لا يكاد يفرّق كثير من القدامى بين مفهومي التَّصحيف والتَّحريف في الاصطلاح؛ فيجعلونهما مترادفين؛ فالتَّصحيف: ((الخطأ في الصَّحيفة بأشباه الحروف)) وأصله كما قال المعرّيّ: ((أن يأخذ الرّجل اللّفظ في قراءته في صحيفة؛ ولم يكن سمعه من الرّجال؛ فيغيّره عن الصّواب)) .

وثَمَّةَ من فرَّق بين التّصحيف والتَّحريف، ولعلّ أوّل من نصّ عليه ابن حجرٍ حين قال: ((إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخطِّ في السِّياق؛ فإن كان ذلك بالنّسبة إلى النّقط فالمصحَّف، وإن كان بالنّسبة إلى الشّكل فالمحرَّف)).

وقد استقرّ الرّأي عند جمهرة العلماء المتأخّرين على هذا المفهوم؛ فالتّصحيف - عندهم - خاصّ بالتّغيير في النَّقْطِ في الحروف المتشابهة، كالياء والتّاء والثّاء، والجيم والحاء والخاء، والدّال والذّال، والرّاء والزّاي.

وأمّا التّحريف فهو خاصٌّ بتغيير شكل الحروف المتقاربة، كالدّال والرّاء، والدّال واللاّم، والنّون والزّاي .

ثمّ إنّى لأرى أحد طلبتي الاعزاء قد أشار بيده يريد طرح سؤال ، فليتفضّل-

يقول السؤال: هل هناك ما يدل على وجود التصحيف والتحريف في كتب التراث وما موقف العلماء منه؟

والجواب: بطبيعة الحال يوجد العديد من الأدلة قد وقع في التّصحيف والتّحريف جماعة من الأجلاّء من أئمّة اللّغة، وأئمّة الحديث، حتّى قال الإمام أحمد بن حنبل: ومن يعرى من الخطأ والتّصحيف؟ وقد تصدّى فريق من العلماء إلى ما وقع من تصحيف في بعض المعاجم اللّغويّة؛ ومن أهمّها ((العين)) للخليل و ((الجمهرة)) لابن دريد، و ((الصِّحاح)) للجوهريّ. وقد تعقّب الأخيرَ بعض العلماء؛ كابنِ برّيّ، والصّغاني، والفيروز آباديّ.

وممّا لا شكّ فيه أنّ التّصحيف والتّحريف يؤدّيان إلى تغيير أصل الكلمة. وقد يؤدّي هذا التّغيير إلى تداخل الأصول؛ ولا سيّما فيما وقع فيه خلاف بين العلماء؛ ممّا يحتمل الوجهين؛ كخلافهم في ((الجَرَجَةِ)) وهي: جَادَّةُ الطَّريق؛ فقال بعضهم: هي ((الخَرَجَةُ)) وقال بعضهم الآخر: ((الجَرَجَةُ))

وقد نقل ابن برّي الخلاف بينهم، وذكر أنّ ثعلباً وابن خالويه وأبا عبيد وغيرهم كانوا يقولون: ((الجَرَحَةُ)) ويجعلون الخاء تصحيفاً. وذكر أنّ الأصمّعيّ وابن السِّكّيت وأبا سهل الهرويّ وغيرهم كانوا يقولون: (الخَرَجَةُ)) ويجعلون الجيم تصحيفاً.

وذكر ابن برّي أنّ أبا الطّيّب اللّغويّ سُئِل عنها؛ فقال: ((حكى لي بعض العلماء عن أبي زيد أنّه قال: هي: الجَرَجَةُ - بجيمين - فلقيت أعرابياً، فسألته عنها؛ فقال: هي: الجَرَجَةُ - بجيمين - وهو - عندي - من: جَرَجَ الخاتَمُ في إصبعي، وعند الأصمعيّ أنّه من: الطّريق الأَخْرَجِ؛ أي الواضح))[1]

وقد يسأل سائل آخر فيقول: هل التصحيف بنفس المعنى عند المحدّثين وأهل اللغة والشعراء... ؟

والإجابة عن هذا السؤال موجودة في موسوعة التهانوي يقول"

"...أمّا التصحيف عند **البلغاء (الشعراء)** فهو الإتيان بألفاظ بحيث يمكن بتحويل نقطة من مكانها أن يتحوّل المدح إلى ذمّ. والناس يخطئون عند ما يسمّون التصحيف تجنيسا. وليس الأمر كذلك، ذلك لأنّ في

[1] تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملطة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ/2002م، 737/2...739

التجنيس شرطا لا بدّ منه والإتيان بألفاظ متجانسة. وعليه فإن جاء بلفظة ثم تلاها بلفظة أخرى مجانسة لها فذلك التجنيس. وأمّا إذا جاء بلفظة ثم بتغيير مواضع النقطة فيها يتحوّل المعنى من مدح إلى قدح فذلك هو التصحيف.

ومثاله: حبيبنا بذاته مخدوم موقّر العزة في الأيام وهو بهذا الشكل مدح.

وأمّا تصحيفه فهكذا:

حبيبنا بذاته مجزوم موفّر العزة في الآثام وعلى هذا فهو قدح. ومثل هذا الكلام يقال له: مصحّف. هذا ما ورد في «جامع الصنائع» وإعجاز خسروي».

ومثاله التصحيف في الشعر الفارسي: نحن نعيش في عزّك. فإذا صحّفنا كلمة:

دولت إلى دولب (شفتيك)

وكلمة: ميزئيم (نعيش) إلى ميريم (نموت) يتغير المعنى ويصبح هجوا. كذا في مجمع الصنائع.

والتصحيف عند المحدّثين: هو تغيير الحديث بتغيير النقاط

قالوا: مخالفة الراوي للثقات إن كانت بتغير الحروف أو الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقطة يسمّى ذلك الحديث مصحّفا بفتح الحاء المشدّدة، وإن كان بالنسبة إلى الشّكل والإعراب سمّي محرّفا، وابن الصّلاح وغيره سمّى القسمين محرّفا، كذا في شرح شرح النخبة.

وفي خلاصة الخلاصة المصحّف إمّا لفظي محسوس بالبصر أو بالسمع، **والأول** إمّا في الإسناد كما صحف مراجم بالراء والجيم بمزاحم بالزاء والحاء، وإما في المتن كتصحيف ستا من حديث من صام رمضان وأتبعه ستا من الشوال الحديث بشيئا بالشين المعجمة والياء المثناة التحتانية.

والثاني أيضا إمّا في الإسناد كما قال عن عاصم الأحول : فسمع واصل الأحدب وإمّا في المتن كما قيل في حديث الكهان فرّ الدجاجة فسمع الزجاجة. وإمّا معنوي كما قال أبو موسى العنزي نحن من عترة يصلي لنا النبي ﷺ يريد ما ثبت أنه ﷺ صلى إلى عنزته وهي حزبته، فتوهّم أنه قبيلة. وأصل العبارة صلى إلى عنزته.

وهي حربته والتصحيف قريب من الوضع في المتن. وإمّا في الإسناد فيصيره ضعيفا بهذا الاسناد انتهى كلامه.[1]

ما قاله العلماء عن التصحيف :

جاء في كتاب تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي: " وبعد فإنّ التصحيفَ والتّحريفَ قلّما سلِم منهما كبير، أو نَجا منهما ذو إتقانٍ ولو رسَخَ في العِلم رسوخَ ثَبير، أو خلَصَ من معرَّتِهما فاضلٌ ولو أنّه في الشجاعة عبدُ اللهِ بن الزُبَيْر، أو في البراعة عبدُ الله بن الزَّبير، خصوصاً ما أصبح النقلُ سبيلَه أو التقليدُ دَليلَه، فقد صحّفَ جماعةٌ هم أئمةُ هذه الأمّة، وحرّفَ كِبارٌ بيدهم من اللُغةِ تصْريفُ الأزِمّة"[2]

وجاء فيه أيضا: "وقد نفَعَ التصحيفُ كما قد ضرّ، فمن نفعه أنه لما حضرَ محمد بن الحسن رحمه الله تعالى، الى العراق اجتمع الناس عليه يسألونه ويسمعون كلامه، فرفع خبره الحسدة الى الرشيد وقيل: إنّ هذا يفتي بعدم وقوع الأيمان وعدم الحنث وربما يفسد عقول جندك الذين حلفوا لك، فبعث بمن كبس مكانه وحمل كتبه معه، فحضر إليه من فتش كتبه، قال محمد: فخشيت على نفسي من كتب الحِيَل، وقلتُ بهذا تروح روحي، فأخذت القلم ونقطتُ نقطةً، فلما وصل إليه قال: ما هذا؟ قلت: كتاب الخَيْلُ يُذْكَرُ فيه شياتُها وأعضاؤها، فرمى به ولم ينظر إليه.

---

[1] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة: الأولى - 1996م. ج1 ص 449-450.

[2] - تصحيح التصحيف وتحرير التحريف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ) حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة الطبعة: الأولى، 1407 هـ - 1987 م، ص4

قلت: فتخلّص بنقطة صحفت الحاء المهملة بالخاء المعجمة"[1].

وأيضا: "ومن نفْعه ما حكاه لي بعضُ الفضلاء، قال: كان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، رحمه الله، يوماً بين يدي الملك الظاهر بيبرس وهو يكتب كتاباً الى نائب الشام فمرّ به ذكر عكا، وكان الساحل يومئذ بأيدي الفرنج، فحصل له سهو وكتب: عكّا المحروسة، وعلّق السين، وكان بعض مَنْ يكرهه حاضراً فقال: يا مولانا نقول عن عكا: المحروسة؟! فقال محيي الدين على الفور: إذا كان واحد ما يقرأ إلا ما ينقط ما لنا فيه حيلة! المخروبة، بسم الله. ثم إنه نقط الخاء وجعل تحت السين المعلقة نقطة، فسكن غضب السلطان ونجا ابن عبد الظاهر[2]

سبب كثرة التصحيفات والتحريفات:

"وقد أسهم النساخ والطباعون، في شيوع التصحيف والتحريف في كثير من شواهد النحو، ومسائله وقضاياه، وأصبح من الواجب علينا التدقيق في إخراج هذه الكتب محققة، على وجه تخلو فيه من مثل هذه التحريفات الشنيعة، التي تتداول بين الدارسين، في مشاهير الكتب النحوية، فقد استشهد ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك، على جواز نصب المفعول لأجله، إذا كان محلى بالألف واللام، بقول قريط بن أنيف:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا ... شنوا الإغارةَ فرسانا وركبانا

والبيت على هذا الرواية، التي جاءت في كتاب ابن عقيل، ليس فيه شاهد على هذه المسألة؛ لأن "الإغارة" مفعول به، وليس مفعولا له. والذي في شعر قريط بن أنيف: "شدوا الإغارة". ويقول التبريزي في تفسيره: "ويُروى شنوا الإغارة أي فرقوها. ومن روى: شدوا الإغارة، فليس الإغارة مفعولا به، ولا انتصابها على ذلك، لكن انتصابها انتصاب المفعول له، أي شدوا للإغارة""[3]

"انتاب المادة اللغوية الكثير من التصحيف والتحريف، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور. وقد وقع اللغويون العرب، في وهم هذا التصحيف والتحريف في معاجمهم"[4].

خاتمة:

التصحيف والتحريف: كلاهما وضع حرف مكان آخر

فالتصحيف لا يقع إلا بين الحروف المتشابهة في الرسم الإمائي كالباء والتاء والنون والياء- أو الجيم والحاء والخاء- أو الدال والذال... كما يقال في (جمل:حمل) (مضر: مصر) فهو إذن تغيير في النقط

-ومن أوجه التصحيف أيضا:

تصحيف السماع: وذلك عندما يخطئ –عن حسن نية- في سماع ما يملى عليه .

تصحيف البصر: كأن يخطئ في رسم حروف الكلمة الواحدة بسبب تشابه الحروف، وقد يتعدى ذلك إلى إغفال كتابة جملة أو سطر أو حتى فقرة طويلة بسبب تصحيف البصر وذلك بأن يتوقف عند كلمة معينة: وعند إكماله للنقل ينتقل إلى نفس الكلمة يُخيّل إليه أنها نفسها التي توقف عندها لكنها ليست الأولى بل هي نفس الكلمة لكنها مكررة في سطر آخر أو حتى في نفس السطرفيغفل عن كتابة ما بينهما من كلام ..

وأما التحريف: فهو استبدال حرف بحرف آخر لا يشبهه في الرسم ولكنّه مقارب له مثل: (الرجل والدجل)، او بعيدا عنه مثل (الرجل والأجل) وكاستبدال النساخ الغين فاء والفاء غينا، والدال لاما والعكس وهكذا...

-ويعود التصحيف والتحريف إلى أمور ثلاثة:

---

[1] المرجع نفسه ص54

[2] المرجع نفسه ص 55

[3]- بحوث ومقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب (المتوفى: 1422هـ)، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الثالثة 1415هـ-1995من ص158، 159

[4] المرجع نفسه ص 148

-تشابه رسم الحروف العربية وهو أعظمها مسؤولية

-النساخ: يقول الجاحظ: " لربما أراد مؤلّف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يردّه إلى موضعه من اتّصال الكلام ...ثم يصير الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر، فيسير الورّاق الثاني سيرة الورّاق الأوّل، ولا يزال الكتاب تتناوله الأيدي الجانبية والأعراض المفسدة حتّى يصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا"

-وهم العلماء –على قلّتهم- فإنّ أحدهم قد يفهم الكلمة فهما خاصا يسوغه السياق له أو يسوغه هو لنفسه ثم يقرؤها ويرويها كما فهم وإن لم يتفق ذلك الفهم مع أصلها وما قصده منها صاحبها.[1]

ملاحظة

أود في الأخير أن أنهي إلى علم طلبتي الأعزاء أنه بإمكانكم التواصل معي عبر البريد الالكتروني المذكور في FICHE CONTCTE في حالة ما إذا استعصى عليكم فهم المحاضرات، أو واجهتم أي صعوبات تخص مقياس تحقيق المخطوط وسأكون في خدمتكم من أجل تذليل الصعوبات، وأقترح عليكم أن تتواصلوا فيما بينكم عن طريق وسائل التواصل المتاحة من أجل تبادل الأفكار ومناقشة الدروس المتاحة على الأرضية والسعي إلى إيصالها لباقي زملائكم مع رفع الانشغالات إلى مسؤولي الأفواج والذين بدورهم يقومون بإيصالها للأساتذة عن طريق الإيمايل. وأسأل الله أن يوفقكم جميعا وأن يجعل النجاح من نصيبكم دائما.

الأستاذة: لخضاري

أفريل 2020

[1]- ينظر تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، لعبد المجيد دياب، دار المعلرف، القاهرة، ط2، 1993، ص172